﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠﴾ [الحجر: 10]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تكذيب الرّسول والاستهزاء بالمؤمنين، عادة الكافرين الأوّلين مع أقوامِهم

لَمّا ذَكَرَ اللّهُ تعالى استهزاءَ الكفّار برسول اللّه ﷺ، ونِسْبَتَهُ إلى الجنون، واقتراحَ الإتيان بالملائكة، وكان الّذي قالوه عليه ﷺ شاقًّا وله غائظًا موجعًا، سلّاه اللّه تعالى بأنَّ من أرسل مِنْ قَبلِه كانت عادة قومِهم معهم، مثل عادة هؤلاء معك، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾(1).

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شِيَعِ﴾: أصلُ (شيع): يَدُلُّ على مُعاضَدَةٍ ومُساعَفَة، وأَصْلُهُ مأخوذٌ مِنَ الشّياع؛ وهو الحَطَب الصِّغار توقَدُ به الكبار، فأطلق الشّياع على الانتشار والتَّقوية، ويقال: شاع الخبر، أيْ: كَثُرَ، وقوي، وشاعَ القوم: انتشروا، وكثروا، وشَيَّعْتُ النّار بالحطب: قوَّيتها، والشّيعَةُ: من يتقوّى بهم الإنسان، وينتشرون عنه، والشّيَعُة: الفِرْقَةُ، أو القَوْمُ يَجْتَمعونَ على الأمر، والشّيعَةُ: أتباع الرجل وأنصاره، وجَمْعُها: شيَعٌ وأشْياعٌ جمع الجمع، والشّيَعُ جمع: شيعة، وكُلُّ قَوْمٍ أَمْرُهُم واحِدٌ يَتْبَعُ بَعْضُهُم رَأْيَ بَعْضٍ، فَهُم شيَعٌ، ويُقال: هُم شيعَةُ فُلانٍ وشيعَةُ كذا من الآراءِ، والمراد بالشّيَعِ في الآية: الأمم التي أمْرُها واحدٌ(2).

المَعْنى الإجْماليُّ:

تَسْلِيَةُ الرّسول ﷺ، في تكذيب كفّار قريش له

يخبِرُ اللّهُ تعالى نبيَّه ﷺ ما فيه تَعْزِيَةٌ وتَسْلِيَةٌ له عمّا أصابه من

---

(1) أبو حيّان البحر المحيط: 6/468، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/25، والخازن، لباب التّأويل: 3/49، والشّوكانّي، فتح القدير: 3/147.

(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، والرّاغب، المفردات: (شيع)، والزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/174، وابن الهايم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 205.

سُفهاء قومه، فأخبره بأنَّ ما أصابه مِنهم يُشبه ما فعله المكذِّبون السّابقون مع رُسلِهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

دلالة التَّنظير عَلَى طَريقَةِ التَّمْثيلِ بِنُظَرائِهِمْ:

تَحقيقُ كُفْرِ المستهزئين برسولِ الله، بتمثيلِهم بنماذج سابقة

في قوله ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ لَمّا كان المرادُ من الآية تنظيرَ حالة إرسالِ رسول الله محمَّدٍ ﷺ في قومِه بإرسالِ الله تعالى الرُّسل في الأمم السابقة؛ أفادَ التَّنظير إبْطالَ اسْتِهْزائِهِمْ عَلَى طَريقَةِ التَّمْثيلِ بِنُظَرائِهِمْ مِنَ الأُمَمِ السّالِفَة، وفي هَذا التَّنْظيرِ تَحْقيقٌ لِكُفْرِهم؛ لِأنَّ كُفْرَ أولَئِكَ السالفين مقرَّرٌ عِنْدَ الأُمَمِ ومُتَحَدَّثٌ بِهِ بَيْنَهُمْ[2].

بلاغة الجمع بين التَّعريض والكناية في الآية:

من براعة نظمِ القرآن، تلوين الأسلوب بما يفيد المطلوب

في قولِه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ لَمّا كان الكلام على طريقة التَّمثيل بالنَّظير من الأمم السالفة؛ أفادَ التَّعريضَ بِوَعيدِ أمْثالِهم، وفيه إدْماجٌ بِالكِنايَةِ عَنْ تَسْلِيَةِ الرَّسول عليه السلام[3].

فائدة التأكيد بقوله: ﴿وَلَقَدۡ﴾:

تحقيقُ تَسْلِيَةِ الرَّسولِ ﷺ وتقريرُها

أفاد التَّعبيرُ بـ ﴿وَلَقَدۡ﴾ تأكيدَ الجملة بلامِ القسم، المُنبِئة عن أمرٍ عظيمٍ يَحْتاجُ إلى تقريرٍ وتأكيدٍ، وبـ (قَد) المؤكِّدة لمضمون الجملة كذلك، أيّ: لتأكيدِ تحقيق سبقِ إرسال الله تعالى قبل إرسال رسول الله ﷺ في الأمم السّابقة، على معنى تحقيق التّسلية لرسول الله ﷺ، وإلّا فإنَّ الرَّسول ﷺ على يقين بتحقُّق إرسالِ الله من قبلِه في الأمم السّابقة، كما يُفيدُ التَّعْبيرُ بـ ﴿وَلَقَدۡ﴾ تحقيقَ سبق إرسال الله تعالى مثل الإرسال الّذي جحدوه، واستعجبوه[4].

---

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/69، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/81، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 262.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/22.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/22.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/23.

دلالة التَّعبير بالضّمير (نا) في قولِه: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾:

أفاد التعبير بالضَّمير (نا) تعظيم شأن إرسالِ اللّه تعالى، فهو شأن الملك العظيم ﷻ، والمرادُ منهُ إظهارُ نهايةِ التَّعظيمِ والجلالةِ للّه المرسِل؛ لتأكيد التَّعجيب من استهزاء الكفّار بالرَّسول واستخفافِهم به ﷺ مع أنَّ الإرسال من اللّه الملك الواحدِ الأحدِ، وهو شأنٌ عظيم.

التَّعجيب من استهزاء الكفّار بالرَّسول، مع أنَّ المرسِل هو الله الجليل

سبب حذف مفعول ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾:

حُذِفَ مفعولُ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، وهو معلومٌ مقصودٌ؛ لأنَّ الإرسالَ يقتضي رسولًا[1]، فوقع الحذف؛ لأنَّ المرادَ إثباتُ الفعل للفاعل، وليس التباسَه بمفعولِه[2]، أيْ: إثباتُ إرسالِ اللّه تعالى، والمعنى هذا هو الشأن، وهذه هي العادة؛ لأجلِ تسلية الرَّسول ﷺ؛ ولبيان أنَّ اللّه تعالى، كما أرسله في قومِه؛ فقد أرسل من قبله في الأمم السابقة.

كما أرسل اللهُ محمَّدًا ﷺ إلى قومِه؛ فقد أرسل رسلًا من قبلِه

سبب مجيء ﴿مِن﴾:

أفاد مَجيءُ ﴿مِن﴾ في شبه الجملة: ﴿مِن قَبۡلِكَ﴾ تحقيقَ ابتداء غاية إرسال اللّه تعالى قبل إرسال رسولِ اللّه ﷺ، ليشمل كلَّ من أرسله اللّه تعالى في قومِه، فيكون المعنى على الاستغراق والاستيعاب.

إفادةُ (مِنْ) معنى الاستغراق، في هذا السّياق

نكتة إيثار التَّعبير بـ﴿فِي﴾ في السّياق:

لَمّا كان الأصلُ في الإرسال أنْ يتعدّى بحرف الجرِّ (إلى)، بأنْ يقال: ولقد أرسلنا من قبلك إلى شِيَعِ الأوَّلين؛ أشْعَرَ التَّعبيرُ بـ ﴿فِي﴾ تضمينَ الفعلِ ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ معنى: نبَّأنا، وجعلنا الذي بمعنى صيَّرنا، والمرادُ نبَّأناهم فيهم، وجعلناهم فيما بينهم، للإعلام بمزيدِ التَّمكُّن فيهم، وللإيذان بأنَّ حالَ الرُّسل وعادتهم هي العيشُ فيما بين أقوامِهم، فوقوع التَّكذيب والاستهزاء على الرُّسل من أقوامهم

حالُ الرُّسل وعادتُهم، هي العيشُ فيما بين أقوامِهم

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 3/352، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 19/124.
(2) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 156.

ليس أمرًا غريبًا، فلك - يا محمَّدُ ﷺ - أسوةٌ بالرسل الماضية مع أممهم المكذِّبة، ولست بأوحدَ فيه[1].

سرّ التّعبير بلفظ ﴿شِيَعِ﴾ في السّياق:

كلُّ طائفة من الكفّار تتبع الّتي قبلها في التّكذيب والاستهزاء

لّمّا كان لفظ ﴿شِيَعِ﴾ يدلُّ على القَوْمِ المجتمعين المتفقة كلمتُهم، وكان اللَّفظ مشتقًّا من شاعه، أيْ: تبعه، لِيُعِينَ بعضُ القوم بعضَهم، وأصله من الشّياع، وهو الحطب الصغار توقَدُ به الكبار؛ آثَرَ التَّعبيرَ به؛ للإشعار بأنَّ كلَّ طائفة من الكفّار تتبع التي قبلها في التَّكذيب والاستهزاء، وأنَّ بعضهم يُعِينُ بعضًا على قبح أعمالِهم وسوء مرتكبِهم، وللتنبيه على صغر قدرِهم وحقارة منزلتِهم[2].

دلالة قوله تعالى: ﴿شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾:

رسولُ الله ﷺ، خاتمُ الرُّسل، وسيّد المرسلين

لّمّا كان كلُّ رسولٍ من قبل رسول الله محمَّدٍ ﷺ موصوفًا بأنَّه من شيع الأوّلين؛ دلَّ على أنَّ قومَ قريشٍ هم الآخرون، فَيُشْعِرُ الكلامُ بأنَّ رسول الله خاتم الرُّسل، ففيه توبيخٌ شديد للمستهزئين على سوء عملِهم وقبح تصرُّفهم مع خاتم رسل الله ﷺ.

فائدة الإضافة في قوله: ﴿شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾:

بيان أنّ إضافةَ الموصوف للصِّفة، من أجل إفادة بيانِ الموصوف وإيضاحِه

لّمّا كانت الإضافة هنا من إضافة الموصوف إلى صفته مثلَ قولِه تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ﴾ [يوسف: 109][3]؛ أفادت الإضافةُ شدَّةَ لصوق الصِّفة بالموصوف حتَّى صارت هي نفسها، فتكون الإضافة بيانيَّة، وتقدير الكلام: (في الشّيَعِ الأوَّلين).

---

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/572، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/207، والطّيّبي، حاشية الطّيبيّ على الكشّاف: 9/20.

(2) السّمعاني، تفسير السّمعاني: 3/131، والكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 980، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/125.

(3) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 980، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 19/124، والأشمونيّ، شرح ألفيّة ابن مالك: 2/141.